. @ 316 @

وقرأ أُبي وعليّ وعائشة وابن الزبير وزيد بن علي حطب بالطاء ، وجمع الكفار مع معبوداتهم في النار لزيادة غمهم وحسرتهم برؤيتهم معهم فيها إذ عذبوا بسببهم ، وكانوا يرجون الخير بعبادتهم فحصل لهم الشر من قبلهم ولأنهم صاروا لهم أعداء ورؤية العدوّ مما يزيد في العذاب . كما قال الشاعر : % (واحتمال الأذى ورؤية جابيه % .

غذاء تضنى به الأجسام .

. %)

{ أَنتُمْ لَهَا } إي للنار { وَارِدُونَ } الورود هنا ورود دخول { لَوْ كَانَ هَؤُلاء } أي الأصنام التي تعبدونها { مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ } أي ما دخلوها ودل على أنه ورود دخول قوله { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } وقرأ الجمهور { ءالِهَةً } بالنصب على خبر { كَانَ } . وقرأ طلحة بالرفع على أن في { كَانَ } ضمير الشأن { وَكُلٌّ فِيهَا } أي كل من العابدين ومعبوداتهم . .

{ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ } وهو صوت نفس المغموم يخرج من القلب ، والظاهر أن الزفير إنما يكون ممن تقوم به الحياة وهم العابدون والمعبودون ممن كان يدعي الإلهية كفرعون وكغلاة الإسماعيلية الذين كانوا ملوك مصر من بني عبيد ا أول ملوكهم ، ويجوز أن يجعل ا للأصنام التي عبدت حياة فيكون لها زفير . وقال الزمخشري : إذا كانوا هم وأصنامهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم فيها إن لم يكن الزافرين إلاّ وهم فيها { لاَ يَسْمَعُونَ } وروي عن ابن مسعود أنهم يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون وقال تعالى { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمّا } وفي سماع الأشياء روح فمنع ا الكفار ذلك في النار . وقيل { لاَ يَسْمَعُونَ } ما يسرهم من كلام الزبانية . .

{ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ * فِيمَا * اشْتَهَتْ * أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الاْكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَئِكَةُ هَاذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاء كَطَىّ السّجِلّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذّكْرِ أَنَّ

الاْرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّـٰلِحُونَ * إِنَّ فِى هَـٰذَا لَبَلَـٰغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ واحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاء وَإِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىَ حِينٍ * قَالَ رَبّ احْكُم بِالْحَقّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَانُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىَ مَا تَصِفُونَ } . .

سبب نزول { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مّنَّا الْحُسْنَىَ } قول ابن الزبعري حين سمع { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } قال لرسول ا صلى ا عليه وسلم) : قد خصمتك ورب الكعبة ، أليس اليهود عبدوا عزيراً والنصارى عبدوا المسيح ، وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى ا عليه وسلم) : (هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك) فأنزل ا تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مّنَّا الْحُسْنَىَ } . وقيل : لما اعترض ابن الزبعري قيل لهم : ألستم قوماً عرباً أو ما تعلمون أن من لمن يعقل وما لما لا يعقل ، فعلى القول الأول يكون ابن الزبعري قد فهم من قوله { وَمَا تَعْبُدُونَ } العموم فلذلك نزل قوله { إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ } الآية تخصيصاً لذلك العموم ، وعلى هذا القول الثاني يكون ابن الزبعري رام مغالطة ، فأجيب بأن من لمن يعقل وما لما لا يعقل فبطل اعتراضه . .

{ * والحسنى } الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الأحسن ، إما السعادة وإما البشرى بالثواب ، وإما التوفيق للطاعة . والظاهر من قوله { عَنْهَا مُبْعَدُونَ } فما بعده أن من سبقت له الحسنى لا يدخل النار . وروي أن علياً كرم ا وجهه قرأ هذه الآية ثم قال : أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ، ثم أقيمت الصلاة فقام يجرّ رداءه وهو يقول { لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا } والحسيس الصوت الذي يحس من حركة الأجرام ، وهذا الإبعاد وانتفاء سماع صوتها قيل هو قبل دخول الجنة . وقيل : بعد دخولهم واستقرارهم فيها ، والشهوة طلب النفس اللذة . .

وقال ابن عطية : وهذه صفة لهم بعد دخولهم الجنة لأن الحديث يقتضي أنه في الموقف تزفر جهنم زفرة لا يبقى نبيّ ولا ملك إلا